



Eximia Journal
(ISSN 2784-0735)

Vol. 5
2022

The Verses and Hadiths Contained in the interpretation of Suratu Ibrahim from the Sahih of Imam al-Bukhari: An Interpretative and Narrative Study

Dididk Hariyanto¹, Md Masm Billah^{2*} & Dr. Muhammad Ali al-Gamidi³

^{1 2 3}Department of Shariah and Islamic Studies, Faculty of Arts and Humanities, King Abdul Aziz University, Jeddah, Kingdom of Saudi Arabia

Mdbillah84@gmail.com

Abstract. This study mainly aims at highlighting the methods of Imam Al-Bukhari, that he applied in the interpretation of Surat Ibrahim in interpretation chapter from his Sahih Book, based on the study of the verses and hadiths contained in it as a narrative explanatory study. The method used in this study is a deductive analytical study, whereby the researcher has collected evidence and information related to the subject from the books of interpretations, and the explanations of Sahih Al-Bukhari and others. The most important finding of this study are: Imam al-Bukhari was one of those who has avoided to narrate from the Israelites in the interpretation, except in the very rare; He has arranged the book of interpretation on the surahs of the Qur'an with a brief of each surah; he has taken care of the sciences of the Qur'an in his interpretation; he also has made the basis of his work in the explanation of language by investigating the meanings of words that need clarification. This study also recommends the researchers to pay attention to the classification of the topics of the book of interpretation in Sahih al-Bukhari; And by studying the explanation of the stranger mentioned by Imam Al-Bukhari in the book of interpretation and others.

Keywords. Tafsir, Al-Bukhari, Al-Sahih, Surat Ibrahim

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة بصورة أساسية إلى إبراز مناهج الإمامي البخاري التي طبقتها في تفسير سورة إبراهيم في كتاب التفسير من صحيحه بالاعتماد على دراسة الآيات والأحاديث الواردة فيه دراسة تفسيرية حديثة. واعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي الاستنباطي، حيث قام الباحث بجمع الشواهد والمعلومات المتعلقة بالموضوع من كتب التفسير، وكتب شروح صحيح البخاري وغيرها، وبعد الانتهاء من جمع المعلومات المهمة، اعتمد الباحث على المنهج التحليلي الاستنباطي في استخراج المسائل المتعلقة بمناهج البخاري في عمل التفسير. وأهم ما توصلت إليه الدراسة أنّ الإمام البخاري كان ممن يتوقى الأخذ عن الإسرائيليات في التفسير إلا في القليل النادر؛ ورتب كتاب التفسير على سور القرآن مترجماً لكل سورة بترجمة؛ واعتنى البخاري في كتاب التفسير بعلم القرآن؛ وجعل البخاري من أساس عمله في التفسير اللغة بتحقيق معاني الألفاظ المحتاجة إلى بيان، وضبط مراجع اشتقاقها. وهذه الدراسة أيضاً توصي الباحثين في الاهتمام بتصنيف موضوعات كتاب التفسير في صحيح البخاري؛ وبدراسة شرح الغريب الذي أورده الإمام البخاري في كتاب التفسير وغيرهما.

الكلمات المفتاحية: التفسير، البخاري، الصحيح، سورة إبراهيم.

المقدمة:

الحمد لله الذي لم يزل علينا قديرا، وصلى الله على سيدنا محمد الذي أرسله الله إلى الناس بشيرا ونذيرا، وعلى آل محمد وصحبه وسلم تسليما كثيرا. أما بعد.

فإن الله تعالى حفظ القرآن عن التحريف والتبديل، فهو المعجزة الخالدة التي يستقي منها المسلمون هدي ربهم، ومنهج حياتهم، وهو الظلال الوارفة التي نستظل بها في سيرنا إلى الله تعالى حتى نلقاه. وهو العصمة لمن اعتصم به، وحرز من النار لمن اهتدى به، لذلك أمرنا بتدبره لفهمه ونعمل به، قال تعالى: [كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ] [سورة ص، الآية: 29]. وبالإضافة، حفظ الله تعالى سنة نبيه الكريم -صلى الله عليه وسلم- كما فعل في القرآن، بأن هيا لها رجالاً حملوها وحفظوها، ورعوها حق رعايتها، رجالاً أفاضاً تركوا لنا إرثاً ضخماً، بذلوا في جمعه وحفظه كل غالٍ ونفيس، كيف لا؟ والسنة أصل لفهم القرآن، قال تعالى: [وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ] [سورة النحل، الآية: 44]. وقال صلى الله عليه وسلم في وصف السنة: (ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه..) [سنن أبي داود: 4604]. وإنما عندما ننظر إلى أسفار السنة الضخمة ودواوينها الكبيرة؛ نراها قصوراً شامخة، فتزداد الرغبة في أن نتجول فيها؛ لنرى روعة بنيانها المتناسك المحفوظ ب: (حدثنا، وسمعت)، ونجمع ما استطعنا من لآلى الفوائد وجواهر الكلم الطيب، التي ما إن اهتدينا بها إلا دلّتنا على الصراط المستقيم، حتى نلقى نبينا -صلى الله عليه وسلم- عند الحوض. ومن بين ظلال القرآن الوارفة، وقصور السنة الشامخة، كانت فكرة بحثنا هذا "الآيات والأحاديث الواردة في كتاب التفسير من صحيح البخاري، دراسة تفسيرية حديثة" حيث نجمع بين الأصلين: الكتاب والسنة، فندرس الآيات والأحاديث الواردة في كتاب التفسير من الصحيح للإمام البخاري دراسة تفسيرية وحديثة. فنسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

أهمية الدراسة:

أولاً: تتبع أهمية الموضوع من أهمية التمسك بالكتاب والسنة والاهتمام بهديهما، وكونها دراسة تتعلق بكتاب الله تعالى وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

ثانياً: أهمية الجمع بين التفسير والحديث في دراسة علمية، فتحقق ذلك من خلال كتاب التفسير في صحيح البخاري.

ثالثاً: أهمية خدمة السنة، وحصول شرف للباحث بركب السابقين في خدمة السنة.

رابعاً: دراسة الآيات الواردة في كتاب التفسير هو من التدبر لكتاب الله تعالى الذي أمرنا به، ودراسة الأحاديث الواردة فيها هو شرح وإيضاح وربط للأحاديث بالآيات الكريمة.

خامساً: بيان منهج البخاري في كتاب التفسير.

سادساً: الإشارة إلى بعض علوم القرآن الواردة في كتاب التفسير للبخاري -رحمه الله تعالى-.

مشكلة الدراسة:

اجتمع في كتاب التفسير الآيات والأحاديث معاً، ولكن أقوال العلماء في شرح تلك الآيات والأحاديث منثورة في كتب التفسير والحديث، فجاءت فكرة بحثي وهي الجمع بين تفسير الآيات الواردة في كتاب التفسير من صحيح البخاري -رحمه الله تعالى- بالدراسة التفسيرية؛ ثم شرح الأحاديث من كتب شروح صحيح البخاري، وغيرها من كتب الحديث بالدراسة الحديثة.

أهداف الدراسة:

أولاً: الجمع بين التفسير والحديث في دراسة تفسيرية وحديثة، تعتمد على كتب شروح كل منهما.

ثانياً: الجمع بين أحاديث البخاري في كتاب التفسير، ودراسة الأحاديث الواردة فيه.

ثالثاً: دراسة الآيات دراسة تفسيرية تحليلية واستنباط هداياتها.

رابعاً: دراسة الأحاديث دراسة مفصلة واستنباط الفوائد والأحكام إن وجدت.

خامساً: دراسة علوم القرآن الكريم والمسائل الفقهية والعقائدية في الأحاديث الواردة في كتاب التفسير من صحيح البخاري بصورة موجزة.

حدود الدراسة:

أولاً: المسائل تشمل الآيات والأحاديث الواردة في سورة إبراهيم في كتاب التفسير من صحيح البخاري.

ثانياً: دراسة الآيات التي وردت كترجمة للباب، سواء احتوى الباب على أحاديث أو لا، دراسة تفسيرية، ودراسة الحديث الذي ورد في الباب -إن وجد- دراسة حديثة.

ثالثاً: دراسة الآيات التي وردت ضمن الأحاديث، وكذلك دراسة الحديث.

رابعاً: دراسة الأحاديث التي وردت في أبواب التفسير وإن لم يحتوي الباب على آية قرآنية.

منهجية الدراسة:

المنهج المتبع في هذا البحث يعتمد على عدد من المناهج العلمية وهي كالتالي:

أولاً: المنهج التاريخي الوصفي الاستقرائي وذلك في القسم الأول وهو الجانب النظري.

ثانياً: المنهج التحليلي الاستنباطي وذلك في القسم الثاني وهو الجانب التطبيقي.

الهيكل العام للدراسة:

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.
أما **المقدمة**، فقد ذكرت فيها أهمية الدراسة، مشكلة الدراسة، وأهداف الدراسة، وحدود الدراسة، ومنهجية الدراسة، والهيكل العام للدراسة.

وأما **الفصول**، فهي كالتالي:

الفصل الأول: مثال الكلمة الطيبة من السعداء

الفصل الثاني: تثبيت الله المؤمنين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وإضلال الظالمين

الفصل الثالث: كفران النعمة

وأما **الخاتمة**، فيها ذكر أهم النتائج التي وصلت إليها من خلال البحث والتوصيات المهمة.

المصادر والمراجع: ذكر فيه أهمية المصادر والمراجع.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وما كان من توفيق فمن الله تعالى وحده، وما كان من خطأ أو نسيان فمن نفسي والشيطان، والله منه براء، وهو من وراء السبيل.

الفصل الأول: مثال الكلمة الطيبة من السعداء

قال الإمام البخاري رحمه الله: باب قوله تعالى: (كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين) [سورة إبراهيم: 24]. وفيه بحثان:

المبحث الأول: الدراسة التفسيرية التحليلية للآية

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة إبراهيم: 24]. وفيه مطالب:

المطلب الأول: مناسبة الآية لما قبلها

لما شرح الله أحوال الأشقياء وأحوال السعداء، ذكر مثالا يبين الحال في حكم هذين القسمين، وهو هذا المثل. (فخر الدين الرازي، 1420: 89/19).

لما ذكر الله تعالى مثل أعمال الكفار وأنها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، ذكر مثل أقوال المؤمنين وغيرها. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (القرطبي، 1964م: 359/9). استئناف ابتدائي اقتضته مناسبة ما حكي عن أحوال أهل الضلالة وأحوال أهل الهداية ابتداء من قوله تعالى: وبرزوا لله جميعاً- إلى قوله- تحيتهم فيها سلام، فضرب الله مثلاً لكلمة الإيمان، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (ابن عاشور، 1984م: 223/13).

ولما تقرر بما مضى أن الحق ما قاله الله أو فعله أو أذن فيه، وأن الباطل ما كان على غير أمره مما ينسب إلى الشيطان أو غيره من قول أو فعل. وقص سبحانه كلام أوليائه الذي هو من كلامه، فهو أثبت الأشياء وأطيبها وأعظمها ثمرة وكلام أعدائه الذي هو من كلام الشيطان، فهو أبطل الأشياء وأخبثها، قرب سبحانه ذلك بمثل يتعارفه المخاطبون فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (البقاعي، 410/10-411).

المطلب الثاني: معاني المفردات اللغوية

كشجرة طيبة: هي النخلة. وأصل (طيب): يدل على خلاف الخبيث. (الدينوري، 1398: 232).

المطلب الثالث: تفسير الآية بالمأثور**أولاً: بالسنة النبوية**

عن عبد الله بن عمر، قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقَالَ: «أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ مِثْلَ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ، لَا يَتَحَاتُّ وَرَفْئُهَا، وَلَا ..، وَلَا ..، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا». قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: هِيَ النَّخْلَةُ. فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ، وَتَمَّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَلَمَّا لَمْ يَتَكَلَّمَا بِشَيْءٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «هِيَ النَّخْلَةُ». (البخاري، 62/1).

مثل النبي الرجل المسلم كالنخلة وهي الشجرة الطيبة التي قال الله في آية الباب.

ثانياً: بأقوال الصحابة والتابعين

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾:

ذهب جمهور المفسرين في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ هي: شهادة أن لا إله إلا الله إلا الله. (ابن كثير، 491/4).
عن عبد الله بن عباس في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ شهادة أن لا إله إلا الله إلا الله. (الطبري، 635/13).
قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾:

ذهب جمهور المفسرين في قوله: ﴿كُنْجَرَةً طَيِّبَةً﴾، هي النخلة. (ابن كثير، 4/492).
عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿كُنْجَرَةً طَيِّبَةً﴾، قال: هي النخلة. (الطبري، 13/640).
قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾:
عن ابن عباس، في قوله: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، قال: غدوة وعشية. (الطبري، 13/642).
عن قتادة قال: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ والحين ما بين السبعة والستة، وهي تؤكل شتاء وصيفا. (الطبري، 13/647).
المطلب الرابع: استنباط الأحكام (الفقهية أو العقدية) من الآيات أو الأحاديث باختصار الأحكام الفقهية:

أولاً: قوله: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾ الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح. شبه الله سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة؛ لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع. (الجوزية، 1411هـ: 132/1).

رقية جامعة من القرآن الكريم للاستشفاء عموماً بها. منها قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلاً ثابتاً وفرعها في السماء﴾. (الجريسي، 322).

ثانياً: قوله: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلاً ثابتاً وفرعها في السماء﴾ *تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ [إبراهيم: 24-25]. فيه حث على المؤمن أن يفتح المجتمع بالوسائل الإعلامية الحديثة، وأن تكون وسيلة لبناء الفرد وحماية الأسرة. (الجريسي، 199).

ثالثاً: المؤمن يصدق بالحق ويحبه ويعمل به. القلب هو الأصل وفيه الإيمان، والبدن فرع له وفيه العمل الصالح. والفرع يستمد من أصله، والأصل ينمو ويقوى بفرعه كما قال سبحانه: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلاً ثابتاً وفرعها في السماء﴾ (24) *تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون (25) ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار (26)﴾ [إبراهيم: 24 - 26]. (التوحيدي، 1430هـ: 80/1).

الأحكام العقدية:

أولاً: المقارنة بين الإيمان والكفر، وكلمة التوحيد وكلمة الكفر وما يثمره كل واحد من هذه الأصناف من خير وشر. (الجزائري، 1424هـ: 57/3).

ثانياً: قوله: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾ إلى قوله في الكلمة الخبيثة: ﴿ما لها من قرار﴾، دليل على أن كلمة الإخلاص جامعة للخير. وأن كلمة الكفر غير مثمرة لقائلها خيراً. (علي القصاب، 1324هـ: 27/2).
ثالثاً: الكلمة الطيبة وهي الإيمان أو لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أو المؤمن نفسه: هي الثابتة الخالدة، الطيبة النافعة. (الزحيلي، 1411هـ: 246/13).

رابعاً: قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلاً ثابتاً وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾، فكذلك شجرة الإيمان، أصلها ثابت في قلب المؤمن، علماً واعتقاداً. وفرعها من الكلم الطيب والعمل الصالح والأخلاق المرضية، والآداب الحسنة في السماء. (السعدي، 1420هـ: 425).
خامساً: بشرى المؤمن بتثبيت الله تعالى له على إيمانه حتى يموت مؤمناً وبالنجاة من عذاب القبر حيث يجب منكراتاً ونكيراً على سؤالهما إياه بتثبيت الله تعالى له. (الجزائري، 1424هـ: 58/3).

المطلب الخامس: ارتباط الآيات الواردة في المسائل بعلوم القرآن الكريم

ارتباط الآية بعلوم القرآن:

أولاً: تفسير القرآن بالأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي - صلى الله عليه وسلم. (العقيلة المكي، 1427هـ: 350/8).
وأخرج الترمذي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقناع فيه رطب، فقال: ﴿مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾ [إبراهيم: 24، 25]، قال: «هي النخلة»، ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ [إبراهيم: 26]، قال: «هي الحنظل». (الترمذي، 3119/295/5).

ثانياً: وجوه إعجاز القرآن.

أنباء الغيب فيه، ومعنى هذا أن القرآن قد اشتمل على أخبار كثيرة من الغيوب التي لا علم لمحمد صلى الله عليه وسلم بها ولا سبيل لمثله أن يعلمها مما يدل دلالة بينة على أن هذا القرآن المشتمل على تلك الغيوب لا يعقل أن يكون نابعا من نفس محمد ولا غير محمد من الخلق بل هو كلام علام الغيوب وقيوم الوجود الذي يملك زمام العالم.

ومن أنباء الغيب في القرآن: غيب المستقبل. مثل ما جاء من التنبؤ بمستقبل الإسلام ونجاحه نجاحاً باهراً فقد أخبر القرآن والمسلمون في مكة قليل مستضعفون في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس بأن الإسلام سيظهر ويبقى وأن كتابه سيكتب له الحفظ والخلود منفرداً بهذه الميزة عن سائر كتب الله اقرأ إن شئت قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ وفي سورة إبراهيم: ﴿ضرب الله مثلا كلمة طيبة

كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا } وفي سورة الحجر: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } . (الزرقاني، 369/2).

ثالثاً: الأمثال في القرآن.

نماذج من أمثال القرآن: قال الله تعالى في سورة إبراهيم: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26)).

يضرب الله في هذه الآيات مثل الكلمة الطيبة، والكلمة الخبيثة، لتصوير سنته الجارية في الطيب والخبيث في هذه الحياة. (ديب مستو، 1418هـ: 201-202).

المطلب السادس: الاستنباطات والفوائد واللطائف القرآنية

أولاً: استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان. (الجزائري، 1324هـ: 57/3).

ثانياً: الأمثال والتشبيهات، وبخاصة تشبيه المعقول بالمحسوس، فيها ذكرى وعظة وعبرة، وإفهام وإيقاظ للمشاعر والضمان، ولفت الأنظار، وشد الانتباه إليها. (الزحيلي، 1411هـ: 247/13).

ثالثاً: أن الغرس والزرع النافع قد أجرى الله سبحانه العادة أنه لا بد أن يخالطه دغل ونبت غريب ليس من جنسه. فالمؤمن دائماً سعيه في شئئين: سقي هذه الشجرة، وتنقيتها ما حولها، فبسقيها تبقى وتدوم وتنقيتها ما حولها تكمل وتتم. (الجوزية، 1411هـ: 134/1).

المبحث الثاني: الدراسة الحديثية للأحاديث

حدثني عبيد بن إسماعيل، عن أبي أسامة، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " أخبروني بشجرة تشبه أو: كالرجل المسلم لا يتحاح ورقها، ولا ولا ولا تؤتي أكلها كل حين " قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر، وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيئاً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هي النخلة» فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه، والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة، فقال: ما منعك أن تكلم؟ قال: لم أركم تكلمون، فكرهت أن أتكلم [ص:80] أو أقول شيئاً، قال عمر: لأن تكون قلتها، أحب إلي من كذا وكذا. وفيه مطالب:

المطلب الأول: سبب البخاري في إيراد الحديث

أورد البخاري هذا الحديث في هذا الباب، لمطابقته للترجمة من حيث إن الشجرة الطيبة هي النخلة على قول الجمهور. (العيني، 5/19).

أورد البخاري هذا الحديث في كتاب العلم، باب قول المحدث: حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا. (البخاري، 61/22/1). ومطابقة الحديث للترجمة في قوله: (ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله) وفي قوله: (فحدثوني ما هي). فإن قلت: الترجمة بثلاثة ألفاظ، وهي التحديث والإخبار والإنباء، وليس في الحديث إلا لفظ التحديث، قلت: ألفاظ الحديث مختلفة، فإذا جمعت طرقه يوجد ذلك كله، ففي رواية عبد الله بن دينار المذكورة ههنا لفظ: حدثوني ما هي، وفي رواية نافع عنه في التفسير عند البخاري أيضاً: أخبروني، وفي رواية إسماعيلي عن نافع عنه: انبؤني، فاشتمل الحديث المذكور على هذا الألفاظ الثلاثة التي هي الترجمة. (العيني، 13/2).

وأورد البخاري هذا الحديث في كتاب العلم، باب الفهم في العلم. (البخاري، 5448/80/7). ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إن قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن من الشجر) الحديث، كان على سبيل الاستعلام منهم وأن ابن عمر، رضي الله تعالى عنهما، فهم ذلك العلم، ولكنه منعه عن الإبداء حياؤه وصغره. (العيني، 53/2).

وأورد البخاري هذا الحديث في كتاب الأطعمة، باب بركة النخل. (البخاري، 5448/80/7) ومطابقته للترجمة ظاهرة في قوله: (هي النخلة).

المطلب الثاني: سبب ورود الحديث

قال مجاهد: صحبت ابن عمر إلى المدينة فلم أسمع يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثاً واحداً، قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتي بجمار، فقال: «إن من الشجر شجرة، مثلها كمثل المسلم» (البخاري، 72/25/1).

المطلب الثالث: شرح الحديث

في هذا الحديث أخبر مجاهد أنه صحب ابن عمر إلى المدينة، فقال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أخبروني بشجرة تشبه أو: كالرجل المسلم لا يتحاح ورقها، ولا ولا ولا، كذا ذكر النفي ثلاث مرات ولا ينقطع ثمرها ولا يعدم فيؤها ولا يبطل نفعها.

قال ابن عمر: فأردت أن أقول هي النخلة فإذا أنا أصغر القوم، وللبخاري في كتاب الأطعمة: فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم. وفي رواية نافع ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم.

ووجه الشبه بين النخلة والمسلم من جهة عدم سقوط الورق، لأن أصل دين المسلم ثابت وأن ما يصدر عنه من العلوم والخير قوت للأرواح مستطاب وأنه لا يزال مستورا بدينه وأنه ينتفع بكل ما يصدر عنه حيا وميتا. وقيل لما بركته كبركة المسلم وهذا أعم من الذي قبله وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها مستمرة في جميع أحوالها فمن حين تطلع إلى أن تبيس تؤكل أنواعا ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك مما لا وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته. والحكمة في تمثيل الإسلام بالشجرة أن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل قائم وفرع عال، كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالأبدان.

(فلما قلنا قلت لعمر يا أبتاه) يسكون الهاء مصححا عليها في الفرع وأصله وفي غيرهما بضمها (والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة فقال) أي عمر (ما منعك أن تكلم) بحذف إحدى التاءين (قال) أي ابن عمر قلت: (لم أركم تكلمون) بحذف إحدى التاءين أيضا (فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئا. قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا) أي من حمر النعم كما في الرواية الأخرى، وقد وضح أن المراد بالشجرة في الآية النخلة لا شجرة الجوز الهندي. (سراج الدين، 1429هـ: 503/22-504).

المطلب الرابع: الفوائد من الحديث

أولا: بركة النخلة.

بركة النخلة موجودة في جميع أجزائها مستمرة في جميع أحوالها فمن حين تطلع إلى أن تبيس تؤكل أنواعا ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك. (العسقلاني، 145/1).

ثانيا: بركة المسلم عامة في جميع الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته. (العسقلاني، 146/1).

ثالثا: من وسائل التعليم: طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم. (البخاري، 22/1).

رابعا: فضل ابن عمر وفقهه في الدين. كان ابن عمر، رضي الله تعالى عنهما، فهم ذلك العلم، ولكنه منعه عن الإبداء حياؤه وصغره. (العيني، 1353هـ: 53/2).

خامسا: لا يتم العلم إلا بالفهم. (ابن الملحق، 353/3).

سادسا: ليس العلم بكثرة الرواية، إنما هو نور يضيئه الله في القلوب، يعني بذلك فهم معانيه واستنباطه. (ابن الملحق، 353/3).

سابعا: استحباب الحياء ما لم يؤد إلى تفويت مصلحة. (العسقلاني، 146/1).

ثامنا: جواز بيع الجمار لأن كل ما جاز أكله جاز بيعه. (العسقلاني، 146/1).

تاسعا: ضرب الأمثال والأشبهاء لزيادة الإفهام وتصوير المعاني لترسخ في الذهن ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة. (العسقلاني، 147/1).

عاشرا: إشارة إلى أن تشبيه الشيء بالشيء لا يلزم أن يكون نظيره من جميع وجوهه فإن المؤمن لا يماثله شيء من الجمادات ولا يعادله. (العسقلاني، 147/1).

حادي عشر: توفير الكبير وتقديم الصغير أباه في القول وأنه لا يبادره بما فهمه وإن ظن أنه الصواب. (العسقلاني، 147/1).

ثاني عشر: أن العالم الكبير قد يخفى عليه بعض ما يدركه من هو دونه لأن العلم مواهب والله يؤتي فضله من يشاء. (العسقلاني، 147/1).

ثالث عشر: أن الخواطر التي تقع في القلب من محبة الثناء على أعمال الخير لا يقدر فيها إذا كان أصلها لله وذلك مستفاد من تمنى عمر المذكور ووجه تمنى عمر رضي الله عنه ما طبع الإنسان عليه من محبة الخير لنفسه ولولده وتظهر فضيلة الولد في الفهم من صغره وليزداد من النبي صلى الله عليه وسلم حظوة ولعله كان يرجو أن يدعو له إذ ذاك بالزيادة في الفهم. (العسقلاني، 147/1).

رابع عشر: الإشارة إلى حقارة الدنيا في عين عمر لأنه قابل فهم ابنه لمسألة واحدة بحمر النعم مع عظم مقدارها وغلاء ثمنها فائدة. (العسقلاني، 147/1).

الفصل الثاني: تثبيت الله المؤمنين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وإضلال الظالمين

قال الإمام البخاري رحمه الله: باب قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [سورة إبراهيم: 27]. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الدراسة التفسيرية التحليلية للآية

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾

[سورة إبراهيم: 27]. وفيه مطالب:

المطلب الأول: مناسبة الآية لما قبلها

لما بين الله أن صفة الكلمة الطيبة أن يكون أصلها ثابتا، وصفة الكلمة الخبيثة أن لا يكون لها أصل ثابت بل تكون منقطعة ولا يكون لها قرار ذكر أن ذلك القول الثابت الصادر عنهم في الحياة الدنيا يوجب ثبات كرامة الله لهم، وثبات ثوابه عليهم. قال

تعالى: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء). (فخر الدين الرازي، 93/19).

ولما كان المثل مضروباً للحق والباطل في الثبات وعدمه، والقصد أهلها، صرح بهما. قال تعالى: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء). (القاسمي، 1418هـ: 6/314). فلما برز الكلام إلى هذين المتالين (كلمة طيبة وكلمة خبيثة)، حصل التعجب ممن يترك ممثل الأول ويفعل ممثل الثاني، فوقع التنبيه على أن ذلك بفعل القاهر، فقال تعالى - جواباً لمن كأنه قال: إن هذا الصريح الحق، ثم إنا نجد النفوس مائلة إلى الضلال، وطائشة في أرجاء المحال، فكيف لنا بالامتثال؟ قال تعالى: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء). (البقاعي: 226/13).

المطلب الثاني: سبب نزول الآية

ذكر البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا أقعد المؤمن في قبره أتى، ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: { يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت } [إبراهيم: 27] " حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة بهذا - وزاد - { يثبت الله الذين آمنوا } [إبراهيم: 27] نزلت في عذاب القبر. (البخاري، 1369/98/2).

وعند مسلم، عن البراء بن عازب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " { يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت } [إبراهيم: 27] " قال: " نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم، فذلك قوله عز وجل: { يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وفي الآخرة } [إبراهيم: 27] " (مسلم، 2871/2201/4).

المطلب الثالث: معاني المفردات اللغوية

يثبت الله: أي يقويهم بالحجج القوية. وأصل (ثبت): يدل علي دوام الشيء. (الأصبهاني، 1412هـ، 171).

المطلب الرابع: القراءات في الآية

يشاء: إذا وقف حمزة وهشام علي (يشاء) أبدلاً الهمزة ألفاً مع المد والتوسط والقصر، ولهما أيضاً تسهيلها مع المد والقصر. (الجزري، 432/1).

المطلب الخامس: تفسير الآية بالمأثور

أولاً: بالسنة النبوية

عن أسماء بنت أبي بكر، أنها سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إِنَّهُ قَدْ أُوجِيَ إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ، فَيُقَالُ: مَا عَلِمْتُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُؤْمِنَةُ فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا. فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُؤْمِنًا، نَمْ صَالِحًا. أَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُنَافِقَةُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ». (البخاري، 86/28/1).

أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن المؤمن إذا سئل في قبره فإنه أجاب بكل يقين عن ربه ودينه وعن نبيه وهذا من التثبيت الذي ذكره الله في آية الباب.

ثانياً: بأقوال الصحابة والتابعين

قوله: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} عن قتادة قوله: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}، أما {فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وقوله {وَفِي الْآخِرَةِ}، أي في القبر. (الطبري، 666/13).

المطلب السادس: استنباط الأحكام الفقهية والعقدية

الأحكام الفقهية:

أولاً: الكافر يسأل في القبر. ويدل عليه قول الله تعالى: "يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء". (السبكي، 1397هـ: 17/8).

ثانياً: الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب، وقد وردت الأحاديث المتواترة في كيفية احتضار المؤمن والكافر عند الموت، وهي مقررة عند قوله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}. (ابن كثير، 1420هـ: 302/3).

ثالثاً: الأمور التي تعين على الاستعداد للآخرة بالأعمال الصالحة: التفكر في أحوال الظالمين عند الاحتضار وما تفعل بهم الملائكة. قال تعالى: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ). (القحطاني، 1431هـ: 1073/3).

رابعاً: قول الله تعالى: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء)، فيه إرشاد إلى الإقبال عليه تعالى، وإلقاء أزمة الافتقار إليه.

الأحكام العقدية:

أولاً: قوله: {يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} (27)، حجة على المعتزلة والقدريّة، وبشارة لأهل السنة ومن يؤمن بالمساءلة في القبر. (القصاب، 1424هـ: 27/2-28).
ثانياً: أفعال الله سبحانه وتعالى إختيارية، قال الله تعالى: {وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}. (العثيمين، 1426هـ: 320/1).
ثالثاً: قول الله: {وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ} في هذه الآية دلالة على فتنه القبر وعذابه، ونعيمه، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم في الفتنه، وصفتها، ونعيم القبر وعذابه. (السعدي، 1420هـ: 425).
رابعاً: يضلُّ الله الظالمين عن حجتهم في قبورهم، كما ضلُّوا في الدنيا بكفرهم، فلا يلقنهم كلمة الحق. (الزحيلي، 1421هـ: 247/13).

خامساً: الدعوة إلى الإيمان، ورفض الشرك. (الزحيلي، 1421هـ: 247/13).
سادساً: بشرى المؤمن بتثبيت الله تعالى له على إيمانه حتى يموت مؤمناً وبالنجاة من عذاب القبر حيث يجب منكرات ونكراً على سؤالهما إياه بتثبيت الله تعالى له. (الزحيلي، 1421هـ: 247/13).
سابعاً: يثبت الله المؤمنين على الحق والإيمان في الدنيا، فلا يترجعون عنه، ويثبت نفوسهم، فيلهمها الصواب والنطق بالإيمان في القبر لأن الموتى ما يزالون في الدنيا إلى أن يبعثوا، وكذلك يلهمها الصواب في الآخرة عند الحساب. (الزحيلي، 1421هـ: 247/13).

المطلب السابع: ارتباط الآيات الواردة في المسائل بعلوم القرآن الكريم ارتباط الآية بعلوم القرآن:

تفسير الصحابة:

عن البراء بن عازب، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المسلم إذا سئل في القبر، يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: {يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}. (مسلم، 2871/2201/4).

المطلب الثامن: الاستنباطات والفوائد واللطائف القرآنية

أولاً: قوله تعالى: {يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}، هذا كنز عظيم من وفق لمظنته، وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفه عين، فإن لم يثبت له وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما. (الجوزية، 136/1).
ثانياً: أن القبر من منازل الآخرة (القصاب، 1424هـ: 28/2).

ثالثاً: العبد يحتاج إلى الثبات في طول حياته، وأحوج ما يحتاج إليه عند مماته، ويحتاج إلى الثبات أيضاً بعد الموت، قال الله تعالى: {يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}. (الحنبلي، 1424هـ: 431/1).
رابعاً: يفعل الله ما يشاء من عذاب قوم وإضلال قوم. (الزحيلي، 1421هـ: 247/13).

المبحث الثاني: الدراسة الحديثية للأحاديث الواردة

حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، قال: أخبرني علقمة بن مرثد، قال: سمعت سعد بن عبيدة، عن البراء بن عازب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "المسلم إذا سئل في القبر: يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فذلك قوله: {يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: 27]. وفيه مطالب:

المطلب الأول: سبب البخاري في إيراد الحديث

أورد البخاري هذا الحديث في هذا الباب، لقوله في الحديث: (فذلك قوله: يثبت الله الذين آمنوا). (البخاري، 4699/80/6) ومطابقته للترجمة ظاهرة. (العيني، 6/19).

وأورد البخاري هذا الحديث في كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر. (البخاري، 1369/97/2). ومطابقته للترجمة من حيث إن أصل الحديث في عذاب القبر، كما صرح به في الرواية الثانية عن محمد بن بشار. وفيها: وزاد {يثبت الله الذين آمنوا} (إبراهيم: 72). نزلت في عذاب القبر. (العيني، 200/8).

المطلب الثالث: معاني المفردات الغريبة في الحديث

القبر: موضع دفن الموتى. وأصل (قبر): يدل على غموض في شيء وتطامن. (الجزري، 1399هـ: 4/4).

المطلب الرابع: شرح الحديث

التوحيد له فضائل عظيمة، وأثار حميدة، فخير الدنيا والآخرة من فضائل التوحيد وثمراته. التوحيد الخالص يثمر الأمن التام، وهو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، يدفع الله به العقوبات في الدارين، ويبسط به النعم والخيرات، وأعظم أسباب دخول الجنة والنجاة من النار. وأهل التوحيد هم الذين شهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن عيسى عبد الله ورسوله.

وفي هذا الحديث أخبر البراء بن عازب أن هذه الأمة تتبلى في قبورها، إذا أقعد المؤمن في قبره فترد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له وما يدريك فيقول قرأت القرآن كتاب الله فأمنت به وصدقت فذلك قوله تعالى: {يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ}. وإن الكافر تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري.

والقول الثابت هو كلمة التوحيد؛ لأنها راسخة في قلب المؤمن، فلا يُزالون عنها لا في الدنيا ولا في الآخرة، فإذا سُئلوا في القبر لم يتوقفوا في الجواب، فإن قيل: فإذا كان كذلك فلا تعذيب للمؤمن في القبر، فما معنى أنها نزلت في عذاب القبر؟ قيل: لعله سمي ما يكون من أحوال القبر عذاباً بالملاقاة للملكين والوحشة ونحو ذلك، أو دُكر تهويلاً؛ لأن القبر مقام الهول والوحشة ولأن ملاقات الملائكة مما يهاب منه بن آدم في العادة، ولأن في القبر العذاب للكافر. وقيل: لا امتناع من تعذيب المؤمن في القبر لما يُلحق به مما يُريده الله تعالى إلا أن يعفو عنه. (العسقلاني، 378/8).

المطلب الخامس: الفوائد من الحديث

أولاً: الحث علي التعوذ من محنة الدنيا وما بعدها حالة الاحتضار، وحالة المساءلة في القبر، وسؤال التثبيت فيهما، كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾. (ابن الملقن، 282/7).

ثانياً: إثبات عذاب القبر. (ابن بطال، 1423هـ: 357/3).

ثالثاً: المسلم يتبلى في القبر فيسأل عن ربه ودينه ونبيه، فمن ثبته الله قال: الله ربي، والإسلام ديني ومحمد نبيي، فهذا تثبيت الآخرة والدنيا أنه وفق لهذا واعتقده في الدنيا. (ابن الملقن، 505/22).

رابعاً: وأصل الثبات: ثبات القلب وصبره، ويقينه عند ورود كل فتنة، فقال: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فاهل الإيمان أهدى الناس قلوباً، وأثبتهم عند المزعجات والمقلقات، وذلك لما معهم من الإيمان. (السعدي، 867).

رابعاً: تعذيب الكافر عند عدم إجابته عن سؤال الملكين. (الولوي، 101/20).

الفصل الثالث: كفران النعمة

قال الإمام البخاري رحمه الله: باب قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ [سورة إبراهيم: 28] " ألم تر: ألم تعلم؟ كقوله: ﴿ألم تر كيف﴾ [إبراهيم: 24]، ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا﴾ [البقرة: 243]، ﴿البوار﴾ [إبراهيم: 28]: الهلاك، بار بيور، ﴿قوما بورا﴾ [الفرقان: 18]: هالكين ". وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الدراسة التفسيرية التحليلية للآية

قال الله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار﴾ [سورة إبراهيم: 28]. وفيه مطالب:

المطلب الأول: مناسبة الآية لما قبلها

لما ذكر الله في الآيات السابقة بعض أوصاف الكفار وأحوالهم؛ عاد إلى وصف أحوالهم في هذه الآية. فقال: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾. (فخر الدين الرازي، 94/19).

ولما أخبر الله سبحانه أنه هو الفاعل وحده، أتبعه الدليل عليه إضلال الذين بدلوا الكلمة الطيبة من التوحيد بالإشراك وزلزلتهم واجتثاث كلمتهم فقال: ﴿ألم تر﴾. (البقاعي، 415/10).

أعقب الله تمثيل الدينين ببيان آثارهما في أصحابهما. وابتدئ بذكر أحوال المشركين لأنها أعجب والعبرة بها أولى والحذر منها مقدم على التحلي بضعها. (ابن عاشور، 1984م: 227/13).

المطلب الثاني: أسباب نزول الآية

ورد في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه ابن جرير عن عطاء بن يسار قال: نزلت هذه الآية في الذين قتلوا يوم بدر: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾. (السيوطي، 117).

وروي البخاري عن عطاء، أنه سمع ابن عباس قال: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ [إبراهيم: 28] قال: «هم كفار أهل مكة». (البخاري، 4700/80/6).

المطلب الثالث: معاني المفردات اللغوية

البوار: الهلاك. وأصل (بور): يدل علي هلاك الشيء وما يشبهه من تعطله وخلوه. (شهاب الدين، 1423هـ: 32).

المطلب الرابع: القراءات في الآية

نعمت الله: وقف ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب والبيهقي والحسن وابن محيصن «نعمه» «بالبهاء، وهي لغة قريش. ووقف نافع وابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر: «نعمت» بالتاء.

وأمال الكسائي الهاء في الوقف «نعمه». (الدمياطي، 1427هـ: 344). (البخاري، 4700/80/6).

المطلب الخامس: تفسير الآية بالمأثور (بأقوال الصحابة والتابعين)

قوله: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾.

ذهب جمهور المفسرين في قوله: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ هم كفار قريش. (ابن كثير، 509-508/4).

عن ابن عباس قوله: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ قال: هم كفار أهل مكة. (البخاري، 4700/80/6).

المطلب السادس: استنباط الأحكام (الفقهية أو العقديّة) من الآيات أو الأحاديث باختصار

أولاً: بيان الفرق بين فرقي الكفار والمؤمنين. (الزحيلي، 253/13).

ثانياً: قوله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ [إبراهيم: 28] وهم الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم؛ فأرساله أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده. (ابن تيمية، 1419هـ: 76/1).

ثالثا: الكافرون استحقوا دخول دار البوار: جهنم لأسباب ثلاثة:

الأول: تبديلهم شكر نعمة الله عليهم كفرانا ووجودا.

الثاني: واتخاذ الأنداد أي الشركاء وهي الأصنام التي عبدوها.

الثالث: وإضلالهم الناس عن دين الله القويم. (الزحيلي، 252/13).

رابعا: أسباب إعراض الناس عن القرآن كثيرة، والمعروضون عنه طوائف، منها: جماعة الأغنياء البخلاء، أظغتهم الأموال، وألتهتهم الآمال فكانوا ممن أو كمن قال الله فيهم: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار﴾. (الحوامدي، 223).

المطلب السابع: ارتباط الآيات الواردة في المسائل بعلوم القرآن الكريم

أولا: بيان حقيقة القرآن ومجازه.

المجاز: مجاز في المركب. قال: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار﴾ فنسب الإحلال الذي هو فعل الله إلى أكابرهم لأن سببه كفرهم وسبب كفرهم أمر أكابرهم بإيهاهم بالكفر. (الزركشي، 257/2).

ثانيا: تفسير القرآن بالأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي - صلى الله عليه وسلم. (عقيلة المكي، 1427هـ: 351/8).

وأخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنه - في قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا﴾ [إبراهيم: 28]، قال: هم كفار أهل مكة. (البخاري، 4700/80/6).

المطلب الثامن: الاستنباطات والفوائد واللطائف القرآنية

أولا: قال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله...﴾، والاستفهام مستعمل في التشويق إلى رؤية ذلك. (ابن عاشور، 227/13).
ثانيا: من أسماء النار: دار البوار، قال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها ويئس القرآن﴾. (القحطاني، 381/1).

ثالثا: إن عاقبة الكافرين إلى الإضلال والضلال، ومردهم ومرجعهم إلى عذاب جهنم. (الزحيلي، 252/13).

رابعا: أن القرآن الكريم ذكر المشركين بأنواع من النعم، لعلهم يشكرون. قال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار﴾، مشركو قريش الذين بدلوا نعمة الله عليهم بالكفر، فكذبوا نبيهم محمداً صلى الله عليه وسلم، وقتلوه يوم بدر، وعبدوا الأصنام ليضلوا الناس عن دين الله. (الرحيلي، 1424هـ: 507/1).

خامسا: لا ينفع يوم القيامة فداء ولا صداقة. (الزحيلي، 252/13).

سادسا: قوله: ﴿ألم تر﴾ تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد مما صنع الكفرة من الأباطيل التي لا تكاد تصدُر عن له أدنى إدراك. (ابن مصطفى، 45/5).

المبحث الثاني: الدراسة الحديثية للأحاديث الواردة

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عطاء، سمع ابن عباس، ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا﴾ [إبراهيم: 28] قال: «هم كفار أهل مكة». وفيه مطالب:

المطلب الأول: سبب البخاري في إيراد الحديث

أورد البخاري هذا الحديث في هذا الباب، لقوله: ﴿الذين بدلوا نعمة الله كفرا﴾ [إبراهيم: 28]. (البخاري، 4700/80/6). مطابقته للترجمة ظاهرة. (العيني، 6/19).

وأورد البخاري هذا الحديث في كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل. (البخاري، 3977/76/5). يكون وجه المطابقة هو كون هذا الحديث مما يتعلق بغزوة بدر بطريق الاستئناس والاستقراب. (العيني، 92/17).

المطلب الثاني: سبب ورود الحديث

عن ابن عباس أنه سأل عمر عن هذه الآية، فقال: من هم؟! (العسقلاني، 378/8).

المطلب الرابع: شرح الحديث

من أعظم نعم الله على خلقه إرسال الرسل إليهم، لقد كان مجيء الرسل عليهم السلام إنقاذاً للبشرية، وأخذاً بأيدي الناس إلى الطريق المستقيم. فإرسالهم نعمة من الله تعالى على الناس؛ وخصوصاً محمداً، إنما كانت بعثة محمد عليه الصلاة والسلام أعظم لأن رسالته عامة، وفيها من التبشير والتيسير والتخفيف ما فيها، فهي لعمومها وتفصيلها وتيسيرها صارت أعظم نعمة، وأكبر نعمة، فإن الله جعله رحمة للعالمين كان كل رسول يبعث في قومه خاصة، فبعث الله محمداً إلى الناس عامة، وجعل شريعته كاملة أفضل الشرائع، وجعلها منتظمة لمصالح العباد في المعاش والمعاد.

وفي هذا الحديث فسر الصحابي الجليل ابن عباس قول الله: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا﴾ [إبراهيم: 28] قال: «هم كفار أهل مكة». (ابن الملقن، 506/22).

المطلب الخامس: الفوائد من الحديث

أولاً: إن الله تعالى بعث محمداً -صلى الله عليه وسلم- رحمة للعالمين ونعمة للناس. (ابن الملقن، (90/7)).
ثانياً: في هذا الحديث ما يدل على أن نزول هذه الآية في أهل مكة. (الشيباني، 1417هـ: 133/3).
ثالثاً: كان قريش بدلوا أي غيروا نعمة الله عليهم في محمد -صلى الله عليه وسلم- حيث ابتغته منهم كفرؤا به. (القسطلاني، (254/6)).

الخاتمة:

وبحمد الباري ونعمة منه وفضله ورحمته فقد عشنا فترة من الزمن مع المباحث التفسيرية في صحيح الإمام البخاري. ونلخص أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة مع ذكر التوصيات المهمة:

أولاً: أهم النتائج

الأول: من خلال هذه الدراسة تبين لي سبق المحدثين وعنايتهم الفائقة في استخدام منهج البحث العلمي المبني على قواعد وأصول. فقد ألف الإمام البخاري صحيحه على منهج علمي رصين واسلوب فريد في ترتيب الأحاديث وتكرارها واختصارها، وفق منظومة حدِيثية بديعة. أبدع لإمام البخاري في كيفية صياغة تراجم الأبواب من الأحاديث، وطرق استنباطها، والاستدلال عليها، والتنوع في مصادر التراجم، حيث كان يترجم بآيات قرآنية، أو الأحاديث النبوية، أو فتاوى الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وقام البخاري بتقطيع الحديث الواحد في مواضع كثيرة. وهذا يدل على دقة منهج المحدثين ومدى التزامهم بالمنهج العلمي الأصيل في التأليف والبحث العلمي.
الثاني: إن الإمام البخاري ممن يتوقى الأخذ عن الإسرائيليات في التفسير إلا في القليل النادر مثل قصة داود وسليمان عليهما السلام، وكقصة الغرانيق.

الثالث: أفرد البخاري في صحيحه كتاباً خاصاً بالتفسير، رتب على سور القرآن مترجماً لكل سورة بترجمة، وقد استوعب البخاري سور القرآن كلها، وأورد فيه شيئاً كثيراً من أخبار التفسير المرفوعة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- من ذلك، بين معلق وموصول، ومن آثار الصحابة والتابعين. وهناك سور بوب لها ولم يذكر سوى الغريب، وقد يذكر أحاديث لا تظهر صلتها المباشرة بالتفسير، وهو يعادل في مقداره عشر الجامع الصحيح. وعلاوة على ذلك فقد ذكر البخاري الروايات التفسيرية الكثيرة الموثقة في الكتب الأخرى من كتب الأحكام وغيرها بمناسبة ما يدخل في مواضعها من الآيات.
الرابع: كتاب التفسير في الجامع الصحيح كتاب تفسير، وحديث، وأحكام، ورفائق. وفيه إلى جانب التفسير الصناعة الحديثية التي عرف بها البخاري في الجامع وفي غيره من مؤلفاته.

الخامس: جعل البخاري من أساس عمله في التفسير اللغة بتحقيق معاني الألفاظ المحتاجة إلى بيان، وضبط مراجع اشتقاقها، ومواقع استعمالها وتحري ما هو مأثور عن الصحابة، أو مرفوع للنبي -صلى الله عليه وسلم- من قول في معاني الآيات، كما استخدم البخاري مباحث اللغة العربية في التفسير كالنصريف والاستشهاد بالشعر والقصص وغير ذلك.
السادس: اعتنى البخاري في كتاب التفسير بعلم القرآن عناية عظيمة كأسباب النزول، والمكي والمدني، والصيفي والشتاني والليلي والنهاري، والناسخ والمنسوخ، وغريب القرآن. ومن هنا يظهر جلياً أن الإمام البخاري إمام في التفسير كما هو إمام في الحديث والفقه.

ثانياً: التوصيات

علي الباحثين أن يهتموا بالأمر الآتية:

الأول: تصنيف موضوعات كتاب التفسير في صحيح البخاري.

الثاني: دراسة شرح الغريب الذي أورده الإمام البخاري في كتاب التفسير.

الثالث: شرح كتاب التفسير شرحاً يخاطب أهل هذا العصر. وتحويل كتاب التفسير صحيح البخاري إلى جداول أوامر ونواه، وهذا هو المهم الذي نعم فائدته الجميع.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع (References):

- القرآن الكريم.
ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، مصر: المطبعة التجارية الكبرى.
ابن تيمية، أحمد الدمشقي (1419هـ) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، ط 2، دار العاصمة.
ابن كثير، أبو الفداء (1420هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط 2، دار طيبة للنشر والتوزيع.
أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
الأصفهاني، الراغب (1412هـ) المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، بيروت: دار القلم.

- البخاري، محمد بن إسماعيل (1422هـ) صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة.
البرماوي، شمس الدين البرماوي (1433هـ) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، سوريا: دار النوادر.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي،
الترمذي، محمد بن عيسى (1395هـ) سنن الترمذي، ط2، تحقيق: محمد أحمد شاكر، مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي.
التونسي، ابن عاشور (1984م) التحرير والتنوير، تونس: دار التونسية للنشر.
- التويجري، محمد بن إبراهيم (1430هـ) موسوعة الفقه الإسلامي، دمشق: بيت الأفكار الدولية.
الجزائري، أبو بكر (1424هـ) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط5، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.
الجوزية، ابن قيم الجوزية (1411هـ) إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الحنبلي، ابن رجب (1424هـ) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، ط2، تحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني،
الفاوق الحديثة للطباعة والنشر.
- الدمشقي، أبو الفداء ابن كثير (1479هـ) تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الكتب العلمية.
ديب البغا وديب مستو، مصطفى ومحيي الدين (1418هـ) الواضح في علوم القرآن، ط2 دمشق: دار الكلم الطيب.
الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (1398هـ) غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، بيروت: دار الكتب العلمية.
الرازي، ابن فارس (1399-1979هـ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر.
الرازي، فخر الدين (1420هـ) مفاتيح الغيب، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
الرحيلي، حمود بن أحمد بن فرج (1424هـ) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى (1411هـ) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، بيروت: دار الفكر.
الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
الزركشي، بدر الدين، (1376هـ) البرهان في علوم القرآن، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.
السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية.
سراج الدين، ابن الملقن سراج الدين (1429هـ) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دمشق: دار النوادر.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (1420هـ) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق،
البيروت: مؤسسة الرسالة.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، لباب النقول في أسباب النزول، بيروت: دار الكتب العلمية.
شهاب الدين، ابن الهائم أحمد بن محمد (1423هـ) التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: ضاحي عبد الباقي محمد، بيروت:
دار الغرب الإسلامي.
- الطبري، محمد بن جرير (1420هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة.
العثيمين، محمد بن صالح (1426هـ) شرح العقيدة السفارينية - الدرّة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، الرياض: دار الوطن للنشر.
- العسقلان، أبو الفضل أحمد ابن حجر (1379هـ) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة.
العيني، بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- القاسمي، جمال الدين (1418هـ) محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية.
القحطاني، سعيد بن علي بن وهف (1431هـ) صلاة المؤمن - مفهوم، فضائل، وأداب، وأنواع، وأحكام، وكيفية في ضوء الكتاب والسنة، ط4، القصب: مركز الدعوة والإرشاد.
- القرطبي، محمد بن أحمد (1384-1964م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة:
دار الكتب المصرية.
- القسطلاني، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد (1323هـ) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ط7، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية.
- القصاب، أحمد محمد بن علي (1424هـ) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، تحقيق: علي بن غازي التويجري،
الرياض: دار القيم.
- الكفوي، أبو البقاء، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، بيروت:
مؤسسة الرسالة.

المكي، محمد عقيلة (1427هـ) الزيادة والإحسان في علوم القرآن، الإمارات: مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة
الإمارات.
الولوي، محمد بن علي بن آدم بن موسى، شرح سنن النسائي المسمى (ذخيرة العقبي في شرح المجتبي)، روم: دار المعراج
الدولية ودار آل.